شريط لخضـــر
جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

محاولة في الأداء المنطقي للغة

محاولة في الأداء المنطقي للغة

إن الهدف من هذه الدراسة هو إبراز المحاولة التي أقامها الأداء المنطقي للغة. وذلك ابتغاء تغطية النقص الذي تأخرت فيه المكتبة العربية. من جهة ومن جهة ثانية، ابتغاء الدفع بعجلة البحث العلمي في هذا الاتجاه (والقصد هنا محاولة تنقية لغتنا -اللغة العربية- مما لحقها من "درن تاريخي").

كما أن لهذا الأداء المنطقي جوانب أخرى تتعلق بالوظائفية للغة، ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة. لذا ارتأيت أن أنظر في ما قامت به النظرية الذرية المنطقية في اللغة لدى الرواد المعاصرين(لاسيما منهم راسل ب.Russell,B وفيتجنشتاين.Wittgenstein).وقمت بوضعها في الميزان بالاعتماد على روادها أنفسهم وعلى النقاد.

لقد عرف اسم فيتجنشتاين لـــ. (Wittgenstein.L)1889-1951 باتجاه " الفلسفة اللغوية "[1] في تاريخ الفلسفة المعاصرة.هذا الاتجاه -الذي عرف به- وليد المخاض العسير الذي أسست له كل من مدرستي كامبريدج ومدرسة أوكسفورد- والمقصود منها بوجه عام، أن الحديث في الفلسفة غير مثمر إلا إذا توفر الاهتمام الخاص باللغة،بمعنى أنه لا يوجد شيء يسمى الفلسفة وهو في الوقت ذاته بعيد عن اللغة، ومنه فإن اللغة تعتبر في هذا الاتجاه محور عملية التفلسف. وهي العملية التي قامت إلى حد ما على أن لا تكون اللغة مجرد مادة لغوية وإنما أن تكون اللغة نشاط للتفلسف بمعنى أنها تساهم إلى حد كبير في إرساء العمل الكشفي الذي تنبني عليه الوظائفية. وأن العالم لا ينكشف إلا عن طريق اللغة، وأن مهمة الفلسفة هي تحليل العلاقة الموجودة بين اللغة والواقع[2].

غير أن راسل ب.Russell,B(1870-1972) سبق فيتجنشتاين في إدراكه لأهمية اللغة في العمل الفلسفي، وفي إدراكه للنظرية الو صفية ونظرية الأنماط المنطقية اللتان صاغاهما راسل في عام 1905 وعام 1908.والسبب في ذلك يعود إلى النهج الذي سلكه وهو المنهج الذي اشتهرت به الفلسفة التحليلية البريطانية. مع الإشارة هنا أننا عندما نقول تحليل فإننا نعني به تعريف.فالتحليل هو إذن تحليل للعبارة اللغوية فهو تعريف لها ، والتحليل إنما نعني به تبسيط مجموع القضايا والتي هي قضايا مركبة إلى قضايا بسيطة. ومنه فإن القضية البسيطة هي بالتعريف قضية أو عبارة تتكون من موضوع ومحمول ، وهي بتعبير المنطق الأرسطي قضية حملية. ولكن المنطق الحديث يسميها قضية ذرية . ومفهوم الذرة هنا ليس بالمعنى الفيزيائي وإنما بالمعنى المنطقي فإذا كانت في المعنى الفيزيائي

تعني أبسط جزء في المادة ، فإن المنطق الحديث يعني بها أبسط جزء في القضية أو في العبارة وهي التي سميناها بالقضية البسيطة . ومن هنا جاء اهتمام المناطقة بالتحليل اللغوي.

ولقد كان القصد من وراء ذلك الوصول إلى مستوى ما من الدقة ومن الموضوعية في التعبير لما لعملية التحليل المنطقي للغة في أبسط صورها وإن أبسط هذه الصور كما قلنا القضية البسيطة أو القضية الذرية .

كما أن الهدف الذي كان المتوخى من عملية التحليل المنطقي للغة هو :

-1 مواكبة اللغة العلمية والتي هي اللغة التي تطورت تطورا مذهلا بفعل استعمالها للرمزية التي تفيد في أبعد معانيها الدقة والموضوعية .

-2 ترقية اللغة الطبيعية إلى مستوى اللغة المنطقية والتي لا يمكن لأي لغة أن تنافسها لما تتميز به من النضج اللغوي " الدقة والموضوعية".

لهذه الأسباب ولغيرها قامت محاولات ومجهودات في الأربعين سنة الأولى من القرن العشرين تصب كلها في هذا الباب. ومن هذه المحاولات ما قامت به النظرية الذرية المنطقية. والتي سوف نأتي على التعريف بها وتعريف القارئ بما قدمته في سبيل النهوض بمستوى ا للغة.

1- في مفهوم النظرية الذرية المنطقية وعلاقتها باللغة:

تسمى النظرية الذرية لأنها ترد الوقائع إلى أبسط الأجزاء المكونة لها، أو لأنها ترد كل ما ندركه في العالم من أشياء أو وقائع مركبة إلى أبسط أجزائها، وتسمى النظرية منطقية لأن الذرات التي نود الوصول إليها ذرات منطقية لا فيزيائية ولذلك تستعين النظرية بالمنطق في صياغتها[3].

هذا عن التعريف اللغوي للنظرية. أما عن المحتوى الفلسفي الذي قامت من أجله فيلخص على النحو التالي :

تنطلق هذه النظرية من زاوية فلسفية مؤسسة على مقولتين هما مقولتا:

- أن العالم مؤلف من عدد كبير من الكائنات، لكنها تترابط فيما بينها بعلاقات خارجية، سواء كانت هذه الكائنات أشياء مادية جزئية أم وقائع.وهذا ما تعني به أو ما تسميه بمقولة التعددية.

- و تحليل الكائنات المركبة إلى كائنات أكثر بساطة يمكننا إدراكها بطريق تجريبي مباشر. وبذلك يتحقق وضوح التفكير عن العالم، ووسيلتنا إلى الوضوح هي الاهتمام باللغة[4].وهو الذي تسميه بمنهج التحليل. وضمن هذا الإطار فإن مستعملي اللغة العربية

هم بحاجة ماسة إلى إخضاع لغتهم إلى منهج التحليل المنطقي حتى نبتعد في جملنا عن استعمال العبارات الجوفاء أي العبارات التي هي من قبيل الحشو اللغوي والذي ساد لغتنا التي عرفت تاريخيا بأنها لغة البيان.فالعبارات اللغوية المحللة تفيد التبسيط وتفيد في الدقة وتفيد في التعبير الواضح الشيء الذي يكون أقرب واسطة لتوضيح الأفكار ومن هنا فالتفكير الواضح هو التفكير المنطقي الذي ينطبع على اللغة البسيطة والواضحة. ولنا الآن أن نسأل كيف نصل إلى العناصر البسيطة الأولى التي تألف منها العالم ؟

يجيب " راسل" بإدراك مباشر .A Knowledge by acquaintance . ولسنا ندري إن كانت الترجمة أي ترجمة بالإدراك المباشر يؤدي المعنى المطلوب من هذه العبارة لأنها تعني في أوسع معانيها المعرفة المباشرة، ولكن آثرنا ترجمتها بالإدراك المباشر كي لا يلتبس علينا الأمر ونعتقد أننا نعني بها المعرفة الحدسية. ولعل التوضيح التالي يكون مهما لهذه المسألة ولهذا المصطلح- فالمقصود بالإدراك المباشر: أن أي قضية يمكننا فهمها يجب أن تتألف من عناصر بسيطة نألفها مباشرة أو نكون على وعي مباشر بها. لا يمكننا فهم أي تعبير لغوي إلا إذا كان يشير إلى خبرة حسية لنا، فإذا لم نعرف الأشياء في حدود خبراتنا الحسية، فلن تكون لنا وسيلة لمعرفة أي شيء، بل لن تكون لنا وسيلة للحديث عنه، وليس هذا عجبا، فكل الفلاسفة على اختلافاتهم الفكرية يبدأون مما هو معروف مباشرة. يبدأ الفلاسفة التجريبيون من أفكار تجريبية، ويبدأ الفلاسفة المثاليون من واقعة تجريبية واحدة على الأقل، وهي أن شيئا ما موجودا وليكن وجودا نفسيا. ثم يحاولون البرهان على قضايا أخرى. وتفعل الذرية المنطقية الشيء نفسه، حين ترى أن أي شيء في العالم يجب أن يقوم على ما هو معطى.

2 – النظرية الذرية المنطقية واللغة.

إن العلاقة التي تربط هذه النظرية باللغة هي أنها تقدم منهج التحليل للقضايا اللغوية أي كما قلنا التعريف اللائق بها ومن هنا فلقد بنى راسل هذه النظرية مع زميله فيتجنشتاين على تحليله لمكونات القضية(العبارة) والتي هي في نظره –في آخر التحليل –أسماء.(يقول أن الكلام ينقسم إلى ثلاثة أجزاء أسماء وأفعال وصفات)[5]، غير أن التحليل يفيد لديه أنها في نهاية المطاف أسماء لأنها مشتقات. ومن هنا راح يميز بين:

أولا اسم العلم المنطقي حد التحليل ولا يمكن تحليله.

بداية يفرق راسل ما بين اسم العلم المألوف و " اسم العلم المنطقي "فيقدم لذلك تعريفا لكل منهما كالتالي:

اسم العلم المنطقي هو ما يجب أن يشير إلى شيء، مفرد نكون على وعي مباشر به وقت الحديث عنه. وإذن فإن مضامين اسم العلم المنطقي هي "هذا، ذاك ".

وإن اسم العلم المألوف هو الاسم المعرّف أي هو الاسم الذي يقبل التحليل.

والقضية الذرية عند راسل تتألف من أسماء وروابط أو ما يسمى برابط الحمل.

وأسماء الأعلام يميز فيها راسل بين اسم العلم المنطقي واسم العلم المألوف، والذي يدخل في القضية الذرية هو اسم العلم المنطقي وليس اسم العلم المألوف.

ويذهب راسل إلى تحليل اسم العلم فيجد مثلا أن اسم سقراط هو اسم علم مألوف وليس اسم علم منطقي: لأنه في حقيقة الأمر هو اختصار لعبارة " أستاذ أفلاطون " أو هو اختصارا لعبارة الفيلسوف الذي تحسى السم .....، أما اسم العلم بالمعنى المنطقي فهو- كما قلنا- ما يجب أن يشير إلى شيء مفرد نكون على وعي مباشر به وقت الحديث عنه، وإذن فأمثلة اسم العلم المنطقي هي "هذا، ذلك" ولا يعني هذا الاسم شيئا واحدا في لحظتين متتابعتين، ولن يعني نفس الشيء لدى المتكلم والسامع معا"[5].

ومنه فإن القضية هذا أبيض- مثلا عند راسل- هي قضية ذرية ودالة على واقعة ذرية، واسم الإشارة هنا – حينئذ – هو حد التحليل وهو الذي لا يقبل التعريف ويكون أبسط أنواع الكلمات التي لا يمكن إجراء مزيد من التحليل عليها.

واللغة في نظر فيتجنشتاين هي المؤلفة من قضايا تنحل إلى ما هو أبسط منها حتى تصل إلى قضية ذرية تحوي أسماء لا تقبل التحليل، ويكون " للكلمة الواحدة في هذه اللغة مسمى واحد وللشيء الواحد اسم واحد"، وهنا الدقة المطلقة[6].

إن أغلب قضايا اللغة العادية قضايا مركبة، لذا كما يقول رسل يجب تحليلها إلى مكوناتها الذرية كي نتجنب أي غموض أو أي نقص، والقضايا المركبة لا تقابلها وقائع مركبة وإنما وقائع ذرية مترابطة بعلاقات معينة.

والركيزة الثانية التي توقفت عندها النظرية السالفة الذكر هي القضية العامة- أو القضايا العامة- وهي قضية أو قضايا غير ذرية وغير مركبة.ونجد أن اللغة تحتوي على الكثير منها أي على هذا النوع من العبارات.وهي قضايا شكلت الحجر الفلسفي في عملية التحليل المنطقي لما تتمايز به عن غيرها من القضايا من جهة. ومن جهة أخرى، لما شكلته من صعوبة في عملية تعريفها وانقسام المناطقة بخصوصها إلى آراء حولها .

كانت تسمى بالمنطق التقليدي قضايا حملية وسماها المنطق الصوري الحديث قضايا شرطية متصلة.

لقد اضطر راسل إلى القول بوقائع عامة، فإن رفض هذا القول فعليه إما رفض وجود قضايا عامة وهو باطل، وإما افتراض وجود قضايا عامة تجريبية لكن لا صلة لها بعالم الواقع وهو غير مقبول وهذه مشكلة القضية العامة متى تصدق ومتى تكذب.[7]

كما رأى المنطقي الإنجليزي رامزي، ن. ف. Ramsey. N.F. (1915-) أن القضية العامة لا توصف بالصدق أو بالكذب وإنما نعتبرها قاعدة ترشدنا في تنبؤاتنا.
وأما الفيلسوف والمنطقي الألماني كارل بوبر " Popper.s.K.R(1902-1994). "فيقول إن القضية العامة يمكن وصفها بالصدق وبالكذب لأنها تخضع لمعيار "إمكان التكذيب ". ولم يستقر المناطقة على رأي واحد بخصوص القضية العامة.

يرى فيتجنشتاين، أن اللغة تصوير دقيق للواقع. - وهي الفكرة الثالثة التي قام عليها مشروع اللغة- ومعناه أن هذه اللغة من الدقة في التعبير بمكان إذ تكون المعبِّر الدقيق عن أفكارنا، من جهة ومن جهة أخرى تكون محققة للتطابق التام لما بين القضايا المركبة تركيبا دقيقا في أذهاننا والوقائع المعبر عنها.

ولتوضيح فكرته يلجأ إلى ضرب مثالين:الأول هو أن المسألة في هذا التطابق تشبه تماما التطابق التام والموجود بين اللحن الموسيقي والنوتة الموسيقية للموسيقار[8] الذي يشرف على الفرقة الموسيقية، ومن هنا في رأيه لا توجد لحظة للفهم وعلى غرار ذلك فإن رئيس الأوركيسترا هو وحده دون سواه القادر على فهم مكمن التطابق الصادق من غيره.وأما المثال الثاني في رأيه فالمسألة أيضا بالتمام تشبه ما يحصل لدى رسّام الخرائط الجغرافية، فكما أن هذا الأخير عليه أن يحقق تطابقا تاما لما بين الرسم على الخريطة والوقائع الثابتة على الأسطح؛ أي عليه أن ينقل بتلك الدقة المتناهية ماهو عليه سطح الكرة الأرضية من تضاريس (مرتفعات وهضاب وسهول ووديان وأنهر...الخ).فالأمر كذلك نفسه وبالتمام يُرى في ذاك التطابق التام الذي يحصل للقضايا – للعبارات- المعبر عنها والوقائع التي نود التعبير عنها (تطابق تام لما بين خبراتنا الحسية و"الأشياء" إن شئنا – حسب تعبير راسل).

إن هناك جملة من الانتقادات تعرض لها كل من أصحاب النظرية الذرية المنطقية - سنأتي عليها- الشيء الذي جعلهم هم أنفسهم يعودون عنها أو يعودون عن الكثير من الآراء التي طالما دافعوا عنها أيما دفاع. ومن جملة الانتقاد الصعوبات التي اصطدم بها

أصحاب النظرية الذرية المنطقية وخصوصا في مشكلة القضية العامة التي أبدى بها النقـــاد اهتماما كبيرا تركت أصحاب النظرية السالفة الذكر يعودون عنها –كما قلنا–.ومنها:

– إن العالم مؤلف من عدد هائل من الوقائع المركبة وهذه العدد هو الذي يشكل في مجموعه قضايا لغوية نسميها قضايا لغوية مركبة، فعندما نقول أن مجموع القضايا فإننا ننتبه إلى أن هذه القضايا بعضا مكتشف أي تم اكتشافه علميا، فنيا، تقنيا، والملاحظ أن هذا استغرق عمر الإنسانية حتى الآن! الشيء الذي يدخل في معنى..... حفظت شيئا وغابت عنك أشياء . من جهة ومن جهة أخرى أن عملية التحليل في حد ذاتها تكاد تكون مستحيلة لما للخاصية اللغوية من ترابط ومن تشابك ومن تعقيد فنحن قد نعود باللغة إلى جمل من التاريخ كما أننا نستعمل جمل من الحاضر وأخرى فإننا نستعمل جملا من المستقبل، أردت أن أقول أن عملية التحليل تكاد تكون مستحيلة قياسا ب"النوع اللغوي" الذي تتصادم وإياه. بحيث يستحيل ردها إلى وقائع بالغة البساطة بالطريقة التي صاغتها النظرية، بل لا نستطيع تقديم معيار للبساطة المطلقة ولا التمييز بين البسيط مطلقا والمركب " وهذه النقطة انتبه لها راسل وفيتجنشتاين معا "[9].

– رأى النقاد أن اسم الإشارة "هذا" ليس اسم علم منطقي، لأنه يمكن أن يكـــون – في إطار نظريته الو صفية– اختصارا لوصف هو ما " أشير إليه الآن: الشيء الذي جعـــل راسل يتراجع، إلى أن يمكن اعتبار أن كل اسم اختصار لمجموعة من الصفات. واعتبار أي شيء محسوس مركب "تركيبا عقليا " من مجموعة من الصفات. وهذا التراجع واضح في كتابه "معرفة الإنسان ".

– بخصوص مشكلة القضية العامة والتي تبقى دائما قضية غير معرفة أي غير قابلـــة للتحليل للأسباب التالية:

أن القضية العامة لا تحقق الحكم المنطقي، فلا يمكننا أن نحكم عليهـــا بالـــصدق أو بالكذب. من جهة ومن جهة أخرى تبقى قضية غير معرفة أي تبقى بين أنها كليات أم أنها غير ذلك.ومن هنا فإما أن نسمح بوقائع عامة وإما أن نرفضها فإن سمحنا بها سمحنا بما لا يطابقه واقع وإن رفضناها رفضنا القضايا العامة، وهي أغلب جمل اللغة العادية وهو أمـــر غير مقبول، وهذا النقطة يتفق حولها كل من " رسل وفيتجنشتاين "، مما يتبين من خلالها العدول عن مشكلة القضية العامة التي سبق وأن حاولا التنظير لها.

– لقد انتبه فيتجنشتاين بعد طول مدة استغرقتها الأعمال التي قام بها من اجل الدفاع عن آرائه في كتابه "الأبحاث الفلسفية" إلى أن قضية ما عن الصورة المنطقية لا تقابلها واقعة

ما، الأمر الذي جعله يدرك تمام الإدراك خطأ النظرية التصويرية للغة وهي التي دافع عنها في نفس الكتاب أيما دفاع (أي كتاب الأبحاث الفلسفية).

- إن اللغة تتنوع بين القضايا الإنشائية والقضايا الخبرية ، وإذا كانت أغلب قضايا اللغة من النوع الأول فيا ترى أين نضعها؟ لأنها غير قابلة للأحكام المنطقية. أي لا يمكننا أن نحكم عليها بالصدق أو بالكذب: لان اللغة التي قضاياها من القضايا لخبرية هي فقط التي يمكننا أن نحكم عليها أي أن نصدر عليها الحكم المنطقي.

ومن هنا فإن العبارات اللغوية من نوع الاستفهام والأمر والتعجب والاستنكار والحكاية والنصوص المسرحية والنصوص الشعرية وما إلى ذلك فأين نضعها -اللهم إلا أننا نسلم بأن الكلام هو فقط ما كان خبريا-

ثم إن أي كلمة في اللغة ليس لها معنى واحدا محددا وإنما يحدد معنى الكلمة استخدامها في اللغة العادية، وهو الموقف الذي قال به فيتجنشتاين كنقد لآرائه الأولى.

بقلم الدكتور الأخضر شريط.

ثبت بالمراجع:

(1) الفلسفة اللغوية اتجاه عرف بالقرن العشرين لا سيما في بريطانيا العظمى وفي الولايات المتحدة الأمريكية وكان يهدف إلى تحليل اللغة والمفاهيم التي تعبر عنها .

(2)Encyclopédie philosophique, langage.Encarta, collection Microsoft2004..

(3)Russell, logical atomism. In contemporary British philosophy.ed Muirhead, London 1952 P184.

(4)W.T.Jones,A History of western philosophy, 2ndeoxolV, Harcourt Brace Jovanovich Inc . New york, 1975.P122.

(5) أنظر أصول الرياضيات، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني ومحمد مرسي أحمد، الجزء الثاني الطبعة الثانية دار المعارف بمصر

(5) Russell, Principia Mathematica, Vol.1, Introduction ,P,xv, Cambridge University press.hewedition , 1962P75

(6) Wittgenstein, Tractatus,3.36,4.22

(7) Russell,My philosophical development,pp66-67

(8) Wittgenstein, Tractatus3.21 4.01 4.011, 4.014

(9) Russell, My philosophical Development46-8

(10) لقد عاد راسل عن أقواله السابقة بصفة جزئية ،بينما عاد عنها فيتجنشتاين كلية لكن هذه المرة نحو مشروع آخر هو مشروع اللغة العادية.

الملخص:

إن الهدف من هذه الدراسة هو إبراز المحاولة التي أقامها الأداء المنطقي للغة وذلك ابتغاء تغطية النقص الذي تأخرت فيه المكتبة العربية من جهة ومن جهة ثانية ابتغاء الدفع بعجلة البحث العلمي في هذا الاتجاه (والقصد هنا محاولة تنقية لغتنا اللغة العربية مما لحقها من "درن تاريخي").

كما أن لها جوانب أخرى تتعلق بالوظائفية للغة ومن هنا جاءت أهمية هذه الورقة. لذا ارتأيت أن أنظر في ما قامت به النظرية الذرية المنطقية في اللغة لدى الرواد المعاصرين (اسيما منهم راسل ب.Russell,B وفيتجنشتاين.Wittgenstein).وقمت بوضعها في الميزان بالاعتماد على روادها أنفسهم وعلى النقاد.

والله الموفق لما فيه خير البلاد والعباد.